على هامش الانتخابات في بوليفيا:

صحوة أمريكا اللاتينية وانفلاتها من هيمنة واشنطن

حسين مجدوبي*

■ شكلت أمريكا اللاتينية منذ أواسط القرن التاسع عشر منطقة نفوذ حقيقية للولايات المتحدة التي اعتبرتها امتداد طبيعيا لمصالحها الاستراتيجية، لكن هذه المنطقة التي كانت ومازالت نسبيا بمثابة خزان احتياطي «للعم سام» بدأت تنفلت تدريجيا من القبضة الأمريكية وتتحرر بل وتتطلع عبر أنظمة يسارية في ثوب اجتماعي وحقوقي وبمشاركة قوية للسكان الأصليين الى تشكيل قطب سياسي يأخذ برأيه في المنتديات الدولية. تطورات تصب في جعل المنطقة تسير نحو قوة حقيقية في العقود المقبلة إذا ما تحقق الاندماج السياسي والاقتصادي المنشود الذي تسعى إليه شعوب أمريكا اللاتينية كما دعا الى ذلك رائد التحرير سيمون بوليفار في القرن التاسع عشر.

ابتداء من العشرينات من القرن التاسع عشر، بدأت مناطق أمريكا اللاتينية تتحرر من هيمنة الاستعمار الاسباني والبرتغالي مشكلة دولا مختلفة الحجم والوزن وفق التقسيم الإداري الذي اعتمدته القوتان الايبريتان منذ اكتشاف القارة الأمريكية. وإذا كان الاستقلال قد تعثر زمنيا في أمريكا الوسطى مثلما جرى في جمهورية الدومنيكان وكوبا، فموجة الاستقلال والتحرير كانت شاملة في أمريكا الجنوبية وهي المنطقة التي عادة ما نربطها بمصطلح أمريكا اللاتينية.

ابتليت أمريكا اللاتينية بأنظمة عسكرية طيلة العقود الثمانية الأولى من القرن العشرين، وحظيت بدعم ومباركة واشنطن لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وبداية المد اليساري الشيوعي. وتاريخ المنطقة يقدم الكثير من الدلائل عن التورط الأمريكي، ويكفي معرفة دور وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر في انقلاب التشيلي والأرجنتين.

ومنذ بداية الثمانينات بدأت هذه الأنظمة العسكرية تتساقط تدريجيا مثل تساقط أوراق الخريف وتحل محلها أنظمة ديمقراطية ضعيفة فضلت التساكن والتصالح مؤقتا مع المؤسسة العسكرية لتفادي عودة شبح الانقلابات. ولكن، ما أن بدأت الديمقراطية تتقوى حتى بدأ «سيف العدالة» يهوي على رؤوس الجنرالات الذين ارتكبوا أبشع عمليات خرق حقوق الانسان ونذكر منها أن جنرالات الأرجنتين كانوا يعتقلون اليساريين ويضعونهم في أكياس ويلقون بهم في مياه المحيط الأطلسي. الأرجنتين، أرسلت الطغمة العسكرية منذ الثمانينات الى السجن وتعيد محاكمتهم الآن، وبدورها تقوم العدالة في التشيلي في الوقت الراهن بالتحقيق ومحاكمة رمز «اغتصاب حقوق الانسان في أمريكا اللاتينية» الرئيس الأسبق للبلاد الجنرال أوغوستو بينوتشي، وكان الأخير مهندس عملية الكوندور التي تجلت في تنسيق كبير بين أجهزة المخابرات في أمريكا اللاتينية لملاحقة اليساريين. البرازيل، وبعد وصول الرئيس لولا دي سيلفا، تهدد بفتح ملف تورط العسكريين في جرائم بشعة إبان الستينات والسبعينات وحتى بداية الثمانينات.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد ساعدت في تفكيك الاتحاد السوفييتي وانفلات شعوب أوروبا الشرقية من هيمنة الدب الروسي نحو الديمقراطية، فلم تقم بهذا الدور في أمريكا اللاتينية بل فضلت استمرار نوع من الوصاية على الأنظمة. والسر في الانبعاث الحالي أو ما يصطلح عليه بداية نهضة أمريكا اللاتينية في الوقت الراهن، يتجلى أساسا في التخلص من الوصاية الأمريكية على أنظمة المنطقة بل ومواجهتها وضرب مصالحها في المنتديات الدولية.

ويتحدث علماء الاجتماع أنه من ضمن أسرار التحرر في دول أمريكا اللاتينية أن «سكان المنطقة كانوا دائما يحملون الولايات المتحدة تخلف دولهم وهيمنتها على الأنظمة الحاكمة، وتدريجيا وقع تغيير نفسي حقيقي، فأدرك السكان والسياسيون أن التغيير لن يتم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم»، وقتها لم يعد العدو الذي يجب مواجهته هو الولايات المتحدة وإنما مواجهة الفقر والتخلف والأنظمة الفاسدة وضرورة فرض انتخابات حرة نزيهة وشفافة. ونتيجة هذا التفكير، غيرت أغلبية الأحزاب وخاصة اليسارية منها خطابها السياسي، فلم تعد توجه انتقاداتها الى «الامبريالية الأمريكية بقدر ما ركزت على فساد الأنظمة». ولعبت الطبقة المثقفة دورا رئيسيا في إشاعة قيم وأطروحات التغيير الفردي قبل تحميل الخارج جميع المشاكل وجعل واشنطن المشجب لتبرير أي فشل.

ويمكن تلخيص انبعاث أمريكا اللاتينية في المراحل التالية:

أولا، القضاء على الأنظمة الدكتاتورية وفرض انتخابات شفافة ونزيهة، وهذا المكسب تحقق ابتداء من الثمانينات وشمل أغلبية دول المنطقة باستثناء كوبا التي مازالت تخضع لهيمنة الحزب الوحيد. ولا يتردد البعض في وصف الديمقراطية في أمريكا اللاتينية بالهشة اعتمادا أحيانا على معالجة سطحية مفادها تغيير بعض الدول لرؤسائها باستمرار وعبر احتجاجات قوية مثلما وقع في بوليفيا والاكوادور والبيرو. لكن خبراء المنطقة لديهم رأي آخر ونتقاسمه نظرا لواقعيته، وهو أن «تغيير الرؤساء أو بالأحرى طردهم دون إتمام ولايتهم الرئاسية يعني أن الشعب يعاقب كل رئيس لا يلتزم بالوعود الواردة في برنامجه الانتخابي، لاسيما وأن ثقافة تقديم الاستقالة أو انتخابات مبكرة غير متجذرة في المنطقة». فرئيس الاكوادور السابق غوتييريث انحاز الى سياسة واشنطن الخارجية وحاول فتح خيرات البلاد أمام الشركات المتعددة الجنسيات، فوجد نفسه دون كرسي الرئاسة في أعقاب موجة عارمة من الاحتجاجات، الأمر الذي تكرر لاحقا في بوليفيا وقبله في الاكوادور.

ثانيا، مواجهة الليبرالية المتوحشة: يعالج المحلل الاقتصادي ويلسو كانو في كتاب له بعنوان «السيادة والسياسة في أمريكا اللاتينية» صدر مؤخرا عن جامعة الباسفيك في البيرو كيف أن الليبرالية المتوحشة خلال التسعينات ومع اشتداد العولمة سببت في انهيار النسيج الاجتماعي في عدد من الدول عبر خصخصة قطاعات استراتيجية مثل الطاقة في البرازيل والأرجنتين والبيرو وكولومبيا. معاناة شعوب المنطقة مع الليبرالية المتوحشة التي أجهزت على الكثير من المكاسب الاجتماعية هي خير دليل لفهم المعارضة الشديدة لبعض الدول وعلى رأسها البرازيل والأرجنتين لاتفاقية التبادل التجاري الحر مع الولايات المتحدة أو اتفاقية شاملة من هذا النوع في القارة برمتها. وقد جددت هذه الدول في اجتماع للقارة خلال شهر نوفمبر الماضي رفض الاتفاقية.

ثالثا: دور السكان الأصليين: العامل الثالث يتجلى في وعي السكان الأصليين المنتمين لحضارات عريقة مثل الآزتك والإنكا ونضالهم من أجل الحصول على حقوقهم كاملة واستعادة الثروات التي سلبت منهم بالقوة ووضع حد للتهميش التاريخي الذي تعرضوا اليه منذ وصول كريستوفر كولومبس الى هذه الأراضي. وكانت الانطلاقة مع «جيش التحرير الوطني الثباتي» في المكسيك سنة 1994 تحت قيادة القبطان ماركوس والذي عاد هذه الأيام الى القيام بجولة تحسيسية ضد التهميش ومتشبثا دائما بلثامه الذي جعل منه أسطورة،، لكن العدوى كما تقول المحللة السياسية كارمين دي كارلوس انتقلت من المكسيك سنة 1994 الى مجموع أمريكا اللاتينية بدون استثناء، بل وحتى في أمريكا الشمالية من خلال هنود كندا في حين أن هنود الولايات المتحدة قد تم سحقهم سياسيا واجتماعيا.

ويختلف وزن السكان الأصليين من بلد الى آخر، فإذا كان ضعيفا نسبيا في البرازيل، ففي حالة الاكوادور والبيرو وبوليفيا أصبح وازنا وتحول الى عنصر الحسم في القرارات السياسية الكبرى. ففي حالة بوليفيا، أصبح زعيم السكان الأصليين إيفو موراليس رئيسا للبلاد منذ 18 كانون الاول (ديسمبر) الماضي، وهذا سيحدث لأول مرة في تاريخ هذا البلد. ولا تستبعد استطلاعات الرأي في البيرو أن زعيم السكان الأصليين أويانتا أومالا، وهو كولونيل متقاعد، مرشح للفوز في الانتخابات الرئاسية خلال مارس المقبل. لكن يبقى الخطير في خطاب السكان الأصليين هو ترويج خطاب سياسي عنصري مفاده التمييز بين الانسان الأبيض الأوروبي الذي قدم منذ قرون والانسان الأصلي صاحب الأرض والمشروعية. فساكنة أمريكا اللاتينية، تنقسم الى سكان أصليين والبيض القادمون من أوروبا، وتاريخيا تولى البيض الحكم بدون إشراك أصحاب الأرض الأصليين بل مارسوا عليهم جميع أنواع القهر والتهميش والاستغلال.

رابعا، وصول تنظيمات يسارية الى الحكم: يبقى هذا العامل من أبرز معالم التغيير في منطقة أمريكا اللاتينية، ففي الوقت الراهن توجد في مجموع أمريكا اللاتينية حكومتان يمينيتان فقط، في دولتي كولومبيا والباراغواي، في حين أن الدول الكبرى مثل فنزويلا والبرازيل والأرجنتين والتشيلي والأورغواي وبوليفيا تحكمها أنظمة يسارية. ووصل اليسار الى الحكم عبر صناديق الاقتراع وليس عبر السلاح كما كان يهدف الى ذلك في الستينات والسبعينات. ومع وصوله، وصل ممثلو الطبقات الشعبية الى سدة الرئاسة، فبعض رؤساء الدول مثل هوغو تشابيس في فنزويلا ولولا دي سيلفا في البرازيل وإيفو موراليس في بوليفيا ينتمون الى الطبقات المسحوقة، وهذا ما يفسر مثلا تصويت ثلثي الشعب الفقير في فنزويلا على تشابيس ونجاحه في ست انتخابات بلدية وتشريعية والدستور والاستفتاء على الرئاسة، الأمر الذي لم يحدث أبدا في تاريخ القارة الأمريكية. أو فوز إيفو موراليس بأغلبية مطلقة في بوليفيا في الدورة الأولى، الأمر الذي يحدث نادرا.

ووعى اليسار بأن دوره التاريخي لن يتحقق عبر ديكتاتورية البروليتاريا بل عبر «ربح صوت الطبقات الفقيرة والمقهورة»، ولبس الثوب الاجتماعي وأضاف اليه «ثوب» السكان الأصليين بتبني أطروحاتهم والدفاع عن حقوقهم والتنسيق معهم ليقدم هذا اليسار نموذجا قابلا للتقليد في مناطق أخرى لأنه اعتمد على الاستفادة من الواقع والتكيف معه.

في غضون ذلك، تهدف أغلبية دول المنطقة الى هدفين رئيسين، الأول تحقيق نوع من التكامل في أفق الاندماج، والثاني التوفر على سياسة خارجية موحدة تعطي لأمريكا اللاتينية وزنا على المستوى الدولي.

وحول النقطة الأولى، بدأت مسلسلات الاندماج منذ الستينات، لكن تغييب الشعوب عن المشاركة فيها وتناسل الانقلابات العسكرية حال دون تحقيق نتائج تذكر. وتوجد في المنطقة عدد من التجمعات، غير أن الذي بدأ يتقوى هو التجمع الاقليمي ميركوسو ويعني سوق الجنوب، مكون من البرازيل والأرجنتين والباراغواي والأوروغواي، وانضمت اليه فنزويلا في بداية ديسمبر الماضي. وتلعب فنزويلا دورا رئيسيا في تنشيط التعاون بين دول جنوب القارة من خلال تزويدها لمختلف الدول بالبترول وبأسعار مقبولة ومنخفضة عن السوق الدولية، بل وصل الأمر برئيسها هوغو تشابيس الى شراء جزء من ديون الأرجنتين من صندوق النقد الدولي لتقليل الضغط عليها. ويعتقد المراقبون أن مسيرة التكامل والاندماج وآخرها إحداث برلمان لدول المنطقة، ستؤدي حتما الى تجمع شبيه بالاتحاد الأوروبي في المدى المتوسط.

ويبقى الهدف الرئيسي لدول أمريكا الجنوبية تحقيق نوع من التكامل في السياسة الخارجية، ومبدئيا، لونها اليساري ساهم في هذا المنحنى. فدول المنطقة أصبحت تفضل نسج علاقات مع قوى وتجمعات اقليمية أكثر من البقاء فقط تحت عباءة واشنطن. ولهذا فالتنسيق قوي مع الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين. وكتبت نيويورك تايمز مؤخرا «واشنطن اهتمت كثيرا بالشرق الأوسط والعراق وتناست حديقتها الورائية أمريكا اللاتينية التي فقدتها». وحاولت أمريكا اللاتينية تنسيق المواقف مع العالم العربي خلال القمة التي احتضنتها البرازيل في ايار (مايو) الماضي، لكن الزعماء العرب كانوا دون مستوى الرد والطموحات لأن الأغلبية منهم مازالت تحت العباءة الأمريكية.

ويبقى هوغو تشابيس الوجه البارز المعبر عن سياسة خارجية مستقلة لأمريكا اللاتينية، وهو السياسي الذي لا يتردد في وصف الرئيس جورج بوش في أكثر من مناسبة بأنه «راعي الارهاب في العالم بخرقه قرارات الأمم المتحدة وغزوه للعراق»، كما يعلن جهرا ضرورة التفكير في محاربة الليبرالية المتوحشة، وانضاف موراليس الى أطروحة تشابيس، ومن ضمن تصريحاته الأولى بعد فوزه بالرئاسة، وصفه لبوش بأنه أكبر إرهابي في العالم.

واشنطن تقف عاجزة أمام ما يجري في أمريكا اللاتينية وحاول بوش خلال سنة 2005 استعادة فريق مساعدي رونالد ريغان الذين كانوا يشرفون على السياسة تجاه دول المنطقة، إلا أن جميع المخططات فشلت لسبب بسيط أن أمريكا اللاتينية انفلتت من أيديها وهيمنتها، والمنعطف التاريخي كان قد بدأ منذ ثلاث سنوات من خلال فشل الانقلاب العسكري ـ المدني ضد هوغو شتابيس في ربيع 2002.

* صحافي من المغرب يقيم في اسبانيا

الى مجهضي حلمنا ومشوهي إنسانيتنا في «غزة» عار عليكم

مشير قاسم الفرا*

■ على اصوات المدافع الرشاشة والاكواع المتفجرة وقذائف الـ«آر بي جي» قضيت الليلتين الأخيرتين من زيارتي للأهل في خان يونس وهي الاولى منذ اعادة انتشار قوات الاحتلال الاسرائيلي حول قطاع غزة. هذه المرة لم تكن هذه الاصوات لطائرات «الأباتشي» او دبابات ومدفعية الاحتلال وهي تقصف «المخيم الغربي» او «الحي النمساوي» او «شارع الميكانيكية» بخان يونس، ولكنها ويا للعار كانت نيران عائلتين تتشاجران اسفر عنها ثلاثة قتلى والعديد من الجرحى حتى رحيلي وما زالت مستمرة حتى كتابة سطوري هذه. هذه الحالة ليست حكرا على خان يونس رغم ابتلائها بالنظام العائلي البغيض الذي ساهم دوما في تأجيج الخلاف والتناحر بين ابناء الشعب الواحد مما عطل ولعقود طويلة مسيرة المجتمع من القبلية الى المدنية وللأسف ساهمت القيادة السياسية السابقة في تغذيته واعادته بقوة للحياة مع عودتها عام 1994 ولم تفعل القيادة الحالية شيئا لتحجيمه حتى الآن.

وفي نفس الاسبوع توالت الاخبار المؤلمة، قتيل في شجار في «جباليا» اربع جرحى اثنان منهم في حالة الخطر في نزاع عائلي في مخيم «البريج» اقتحام عائلة في «الشجاعية» لمركز الشرطة لتحرير احد ابنائها المتهم بتجارة «المخدرات» واعدام احد افراد الشرطة الذي استسلم لهم ومقتل طفل عمره 14 عاماً في اليوم التالي على خلفية نفس المعركة. شجار مسلح بالاسلحة الرشاشة والاكواع المتفجرة بين طلبة في مدرسة العودة «بعبسان» يسفر عن 9 جرحى حالة احدهم خطرة. اختطاف الاجانب، ثلاثة امريكان، ايطالي وبريطانيين في حوادث منفصلة. كل هذا في اقل من اسبوع والملفت للنظر هو الغياب المخزي لاجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية «عدا حالات اختطاف الاجانب». وقبلها بشهر مأساة بيت حانون والذي اسفر عنها 11 قتيلاً والكثير من الجرحى في شجار بين عائلتين في المدينة.

الفلتان امتد لينتج ظاهرة خطيرة جديدة وهي سرقة السيارات الخاصة والتاكسي. مائتا سيارة سرقت في قطاع غزة في شهر كانون الاول (ديسمبر) 2005. صعقت عندما رفض سائق اجرة توصيلي لمسافة كيلومترين خارج خان يونس الساعة التاسعة ليلا، وبعد مناشدات كثيرة وافق في حالة واحدة وهي ان يذهب الى «حيه» لاحضار ابن خالة ليرافقه وكان له ما اراد. الناس في خوف حقيقي ان تتطور اعمال السرقة لتشمل السطو المسلح. وفي رحلة العودة فشلت كل محاولات الشرطة ومناشدات المسافرين، مبدأيا، مع المسلحين من «كتائب شهداء الاقصى» الذين احتلوا بوابة المعبر واغلقوها ردا على اعتقال الشرطة لأحد زعمائهم المتهم بخطف احد الاجانب. صرخ احد المسافرين: معانا تحويلة نحن مرضى، جاء الرد الصاعق بالارض بلا (...) ساعات طويلة حتى سمح لنا هؤلاء «الأشاوس» بالدخول وسط التهديد والشتائم المهينة واطلاق الرصاص الكثيف في الهواء وحول السيارات. لم يحتمل احد ركاب التاكسي، وهو مناضل سجن في عهد الاحتلال واصيب ومنع من السفر لمدة 23 عاما، صرخ محاولا الخروج من التاكسي لمواجهة هؤلاء الزعران ممن يشوهون كل ما هو وطني وانساني، منعته بالقوة فلا نضاله الطويل ومعاناته لأجل مستقبل مثل هؤلاء سيشفع له امام بنادقهم الرعناء. مهزلة بكل معنى الكلمة اكتملت بأن حطم هؤلاء المغاوير جزءا من السور الحدودي مع مصر وقتلوا اثنين من افراد الشرطة المصرية من الغلابة الكادحين. هذا السور الذي لم يجرؤ احدهم على الاقتراب منه ايام الاحتلال سوى المقاومين الحقيقيين ولا اعتقد ان ايا من هؤلاء كان يوما ما مقاوما، ومرة اخرى لم يكن هناك اي وجود للسلطة خلال هذه المهزلة وحسب احصائي «الشخصي» لم يزد عدد المسلحين الذين احتلوا المعبر عن ثلاثة عشر وكان من السهل جدا السيطرة عليهم من قبل قوات الشرطة والأمن الوطني لو كان هناك نية!! وبالمناسبة تبرأت كتائب شهداء الاقصى من فعلتهم هذه في اليوم التالي ولكننا لم نسمع بأي اجراءات تأديبية بعد!!

وقاحة شديدة واستهتار بكل القيم واستعراض عضلات بينه وبين الشهامة ملايين الفراسخ والأميال واستقواء على مدنيين عزل من ابناء شعبهم ممن يدعون حمايتهم، «خليك في حالك احسن لك» قالها لي بلهجة تهديدية احد الملثمين، في سيارة مسلحة من 40 شخصاً من كتائب الاقصى كانت في طريقها لاحتلال بلدية خان يونس القديمة، عندما سألته ببلاهة وسخرية مقصودة: اهناك اجتياح اسرائيلي؟؟

الوضع الأمني يتدهور يوميا من سيئ الى اسوأ ومعنويات افراد الشرطة والأمن الوطني في الحضيض وحتى نكون منصفين كيف نتوقع منهم مقاومة الفلتان وهم لا هيبة لهم ولا حماية من قياداتهم على الاطلاق. ان ما حدث ويحدث من اعتداءات على الكثير من افراد الشرطة دون عقاب للمعتدين يبرر وللأسف مقولتهم «احنا مش قد العائلة الفلانية او المجموعة المسلحة هذه او تلك» فقد وصلت المهزلة حد ان تطالب العائلات بثأرها من الشرطة وتسليم افراد الشرطة المتهمين بالدفاع عن مواقعهم عند الهجوم عليها والذي ينتج عنه مقتل او جرح بعض المهاجمين. بل وفي عدد من الحالات تم الاعتداء على منازل افراد الشرطة ومرة اخرى بلا رادع او عقاب للمعتدين!!

غالبية الناس في غزة أوصلهم الخوف وانعدام الامان الى حالة واضحة من اللامبالاة فلا الانتخابات تهمهم بل ويشككون دوما في امكانية اجرائها في ظل الفلتان الأمني الشديد ومعهم حق فمن الذي سيمنع أي مجموعة مسلحة من تدمير مركز او اكثر من مراكز الاقتراع ان لم تعجبهم النتيجة؟

ومن الملموس جدا تراجع الاهتمام بالقضايا السياسية كثيرا فنادرا ما تسمع نقاشا عن المستوطنات او الجدار، القدس واللاجئين، كل الحديث عن القلق من المستقبل في ظل الظروف الأمنية المتردية. لسان حال الشارع الفلسطيني يكاد يكون مجمعا على حقيقة ان لا نية لدى الاجهزة الأمنية المتناحرة لضبط الحال وان الرئيس محمود عباس لا يسيطر على هذه الاجهزة التي توالي قادتها المباشرين، وبعض القادة السياسيين ممن كانت لهم مواقع أمنية قوية. والنظرية المنتشرة بشدة هو ان الهدف من وراء الفلتان الأمني هو ايصال الأمور الى نقطة الخطر الشديد الشامل وعندها تمهد الطريق لقدوم القيادة الامنية الجديدة «القديمة» التي ستتسلم الأمور، بدلا من القيادة السياسية الحالية، والتي ستعيد الأمن والامان بدعم من يقومون بالتجاوزات والاعتداءات وهم اعضاء في الاجهزة الامنية المتعددة وكلهم معروفون لدى قياداتهم. ولو كان هناك نية لوقفهم لاتخذت بحقهم اجراءات اولها قطع رواتبهم على سبيل المثال.

نقطة هامة اخرى هي قدرة السلطة المذهلة على حماية مواكب وقوات المسؤولين الكبار «حتى دبانة لا تستطيع الوصول اليهم» فكيف لا يستطيعون حمايتنا من هؤلاء الأوباش، والكلام لراكب كان معي في سيارة اجرة من خان يونس الى غزة.

وحتى لا اكون قد طرحت الداء دون اقتراح الدواء اعرض على السيد وزير الداخلية، خاصة وان الخطر وصل الى باب بيته بالامس في رام الله، ان كانت له نية في ضبط الفلتان الأمني، السيناريو الافتراضي التالي: تتقاتل عائلتان في احدى مدن قطاع غزة بالاسلحة النارية، القذائف المتفجرة، وبقية الاسلحة، يرسل وزير الداخلية مئات ان لم يكن الاف العناصر من الشرطة والاجهزة المختلفة، و«عندنا منهم الالاف المؤلفة» لتحاصر منطقة النزاع وتغلقها من جميع الجهات وتطالب المتقاتلين بايقاف القتال والاستسلام وفي نفس الوقت تسمح للمدنيين بمغادرة المنطقة الى اي مكان يريدونه، ويستمر الحصار والاغلاق، ولو لشهور طويلة، حتى يتحقق الهدف. ويطبق نفس الشيء عند احتلال مكاتب حكومية او اغلاق طرق عامة او مهاجمة مخافر شرطة او اي شكل آخر للخروج على القانون. هذا ليس رأيي الشخصي فقط ولكنه مطلب الغالبية العظمى من الناس المتضررين عندها فقط ستبدأ السلطة في استعادة هيبتها المفقودة. ويحسب هؤلاء «المارقون» نتائج افعالهم.

اليس من المخجل ان يحدث هذا كله في وقت تستمر فيه اسرائيل في قصف شمال قطاع غزة واغتيال مقاومينا في غزة والضفة وبناء الجدار الفاصل وخنق حرية اهلنا في مختلف انحاء الضفة وعلى حدود قطاع غزة. وأقول لكل المقاتلين من مختلف العائلات ولكل الخارجين على القانون من كتائب وصقور وألوية وغيرها عار عليكم.

وأقول للسيد رئيس السلطة ووزير الداخلية وقادة الاجهزة الامنية والمتنفذين من القيادات السياسية، اما ان تحققوا الأمن للمواطن وهذا ابسط حقوقه واما فلتكن عندكم الشجاعة للاعتراف بالفشل والرحيل.

* كاتب من فلسطين

العراق تحت رحمة الحرية والحوار والديمقراطية!

حسني أبوالمعالي *

■ إن البحث عن حلول مؤقتة للأزمة العراقية بين الأطراف المتنازعة على السلطة عقب الانتخابات الأخيرة في محاولة لإيجاد صيغة توافقية تنبثق منها حكومة محاصصة لدليل فاضح على فشل الديمقراطية في العراق، بعد أن اشترك أكثر من أحد عشر مليون ناخب عراقي أدلوا باصواتهم متحدين بذلك الظروف الأمنية الصعبة ومواجهين احتمالات الموت، أملا بالوصول الى مستقبل أفضل للعراق وإنقاذ الوطن الذي قدم خيرة الأبناء شهداء وقرابين من أجل الحرية والديمقراطية، ومن خلال المعادلة الغريبة التي شهدها الوطن والتي تجمع بين رغبة الشعب العراقي في الالتحاق بركب الحضارة المعاصرة وصولا إلى شاطئ الأمان والسلام أسوة بالنظم الديمقراطية في العالم المتقدم عبر الانتخابات الحرة والنزيهه واختيار الأنسب والأجدر لتمثيلهم بهدف الدفاع عن حقوقهم وتوفير سبل العيش الرغيد لهم، وبين طمع الساسة ورؤساء القوائم المتناحرة والمتنافسة على أسس غير شريفة للوصول إلى الحكم، يبدو بأن قياداتنا السياسية غير جديرة بهذه الأمة وليست بمستوى طموحات شعبنا العظيم الضحية الاولى لكل ما جرى ويجري في الوطن الجريح. وإذا كان هناك من يحتاج الى تربية ديمقراطية ووعي سياسي من أجل احترام الرأي والرأي الآخر فهم ممثلو القوائم الانتخابية الذين نصبوا انفسهم قادة ورؤساء وليس الشعب. فما زال ضميرا الحجاج بن يوسف الثقفي وصدام حسين يعيشان في نفوس وأجساد القادة الجدد في حبهم للسيطرة والبطش بالأبرياء والاستئثار بالكراسي والاستحواذ على مراكز القرار، وما زالت الأنانية هي القاسم المشترك لدى جميع المرشحين رؤساء القوائم بدون استثناء تعشعش تحت العمائم البيضاء والسوداء بعيدا عن فلسفة الايثار والتضحية من أجل الشعب مع غياب التفكير الجاد من منطلق جماعي تضامني وتكافلي ووحدوي وصولا إلى مخرج ناجع من النفق المظلم الذي يرزح الوطن تحت عتمته.

لا شك بأن الانتخابات قد طالتها أياد آثمة زورت وحرفت من نزاهتها وهو أمر متوقع لأن التجربة الديمقراطية في العراق ولدت من رحم تراث ديكتاتوري فاشي ورضعت من ثدي الاحتلال الأمريكي الغاشم. وبالمقابل فإن ردود الأفعال العراقية على هذا التزوير لم تكن هي الاخرى نزيهة وعادلة طالما تضمنت تهديدا ووعيدا وبذلك فقدت ديمقراطيتنا أهم أركان عناصرها ألا وهي النزاهة والحوار السلمي، وفي كلا الحالتين فان الخاسر الوحيد من تلك الديمقراطية الشوهاء هوالشعب العراقي.

أستحضر هنا مثالا لنموذج من الديمقراطية عبر تصريح آل غور بعد هزيمته أمام جورج بوش الابن في الانتخابات الأمريكية والمثال لا يعكس بالضرورة النموذج الأفضل للديمقراطية ولكنه مثال سليم للأخلاق الديمقراطية التي تعتمدها معظم الدول المتحضرة، حين قال: أنا أعترض على النتيجة ولكنني أقبل بها من أجل بلدي.

إن العملية السياسية التي دشنها العراق لأول مرة بعد عقود طويلة من الحرمان، كانت في رأيي بمثابة سباق نحو السيطرة، ومباراة من اجل الفوز فقط، وتجارة بهدف الربح بعيدا عن محن الوطن وهموم المواطن، وإذا كان الحجاج وصدام ينطلقان في سياستهما القمعية على أساس مبدأ الفردية والذاتية فإن قادتنا اليوم ينطلقون من منطلق طائفي، وهنا تكمن خطورة الموقف عند مواجهة طائفة ضد طائفة أخرى مما سيوصلنا لا محالة الى حرب أهلية نحن في غنى عنها.

لقد أصبح جليا لكافة أبناء الشعب بأن القوائم الانتخابية في العراق شكلت بناء على توجه طائفي وعرقي، سني وشيعي وكردي، وليس على أساس توجه وطني حيادي تعتمد على حب الانتماء للعراق وطنا وشعبا. ومن خلال تصريحات كافة ممثلي الطوائف نجد أن النفس الطائفي والعرقي كانا يسيطران بشدة على لسان المتحدثين وتوجهاتهم، وبهذا المنطق اللا وطني نرى بأن قادتنا من كل الأطراف إنما يخدمون بذلك توجه المحتلين الذين يجتهدون بالسر وبالعلن على زرع شوكة الطائفية والقومية وشق الصف الوطني العراقي.

إن مسحا عاما لمعظم الوجوه السياسية العراقية التي تطل علينا كل يوم من على شاشات القنوات التلفزيونية يوضح لنا بأن تلك الوجوه لم تكن مقبولة إلا من قبل بعض دعاتها، وهذا ما ينطبق على معظم القوائم الكبيرة، وفي ظل هذه الظروف الحرجة التي يمر بها مجتمعنا العراقي فإننا بحاجة إلى وجوه مقبولة لدى جميع الأطراف والأطياف وان اختلفت معها في الرأي، وجوه تؤكد عراقيتها من خلال انتمائها الأول للوطن ويكون العراق لديها هو كل الأطياف والقوميات والأحزاب، وجوه تكون بمثابة شموس تشرق بدفء على نهاراتنا الباردة، وأقمار تبزغ في ليل عراقنا الذي طالت عتمته أكثر مما ينبغي، وجوه يكون حديثها المختصر بلسما لجراح العراقيين وعملها الوافر يبرهن على صدق نواياها وهي تعالج مشاكلنا المستعصية كالأمن والطاقة والغذاء والبطالة، وجوه تسمو على كل الصغائر وتتمسك بالمبادئ والقيم الانسانية خدمة لمصلحة الجماهير، وجوه يكون الاختلاف بينها وبين خصومها في السياسة قائما على اساس المحبة والوئام، ومهما اختلفت حول قضايا الوطن سارعت لتأتلف واجتهدت لتتحد على تجاوز الأزمات عملا بما جاء في المثل العربي «واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية» وليس الاختلاف الذي يفضي إلى خلاف وينتهي حد المواجهة بالسلاح بين الفرق المختلفة وهو ما يؤدي ـ كما هوحالنا اليوم ـ إلى الانتقام والقتل الجماعي وإلغاء الآخر.

وفي النهاية فإن دعوتي المخلصة إليكم جميعا أن ارحموا عزيز قوم ذل على يد أبنائه قبل أعدائه، ذلك هو العراق الذي تنتمون إليه، وقد سئم شعاراتكم الفارغة، وتعب من وعودكم الزائفة وأنتم تدعون زورا بأنكم تدافعون عنه وتناضلون من أجله وهو ضحية الثالوث الجميل: الحرية والحوار والديمقراطية، تلك الحرية التي جاء بها المحتل وأية حرية ! ثم حوار السلاح بين أبناء الوطن الواحد، وأخيرا ديمقراطية التزوير.

انتخابات: على أونا.. على دوووووي..!!

توفيق الحاج*

■ استيقظت مفزوعا صباح يوم مضى على أصوات مكبرات الصوت تزعق في جميع الاتجاهات.. هرولت الى الصالون.. «يا رب يا ساتر.. هل استشهد أحد..؟! .. افتحوا على اذاعة أم قرص ربما يأتي خبر عاجل..!!».

ضحكت المدام وهمست وهي تنظر الي نظرة الذئب الى فريسته: صح النوم ياراااايق..!! أدركت على الفور ان قدوم عاصفة تسونامي بات وشيكا فآثرت السلامة وتنحنحت بأدب جم: صباح البقلاوة يا عسل.. ماذا يجري في الخارج..؟!! فردت كواثق الخطو يمشي ملكا: «الانتخابات.. يا بن الحلال.. عقبال عندك تترشح عشان اتباهى فيك وأكيد العوازل خصوصا المخفية جارتنا».

ابتسمت وقلت لها وأنا أتأمل سحنتي المكرمشة في المرآة: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه وتلقيت منها فاتورة الطلبات كالمعتاد صاغرا «بدنا خبز وشاي وسكر ورز وزيت و.. و.. و.. وعوامة.. عواااامة.. ايش معنى..؟!!

ياللا ما الحال عايم والدنيا عايمة.. ركبت الهونداي الى غزة وفي الطريق بهرني الكرنفال.. صور المرشحين كنجوم السينما تزين الجدران وتختفي تحتها اسماء الشهداء التي أكل عليها الدهر وشرب.. وتنهيدة من العجوز خلفي.. «راحت عليهم»..!! صور جميلة ملونة.. هذا المرشح يبتسم ..وذاك يلوح للهواء و ثالث يعد.. ورابع يعظ.. اللهم صلي على النبي.. المرشحون للتشريعي أكثر من الناخبين.. صحتين..!! والله ياجماعة بعض المرشحين من عظم شعبيته يادوب يحوز فقط على صوت زوجته وبالعافية بعد عدة عمليات ارهابية..!!

«الوعود كثيرة والكلام أكثر وعند الجد ما بنشوف حد» جملة قالتها الحاجة خضرة خريجة جامعة الحارة في قسم الاقتصاد والعلوم السياسية وعقب عليها ابو حسين الخبير العالمي في خلفيات المرشحين: يللا رزق الهبل على المجانين..!! خلي المصورين والخطاطين وشركات الاعلان يستفيدوا من الورق الاخضر المخبا تحت البلاط ˜ قلبي على وطني..!! وعمال البلدية الذين سيكنسون قمامة الصور المزقة بعد ان ينفض مولد سيدي أبو كبونه..!!

وأسفي على انتخابات المزاد.. والتي أصبحت فرصة لكل من هب ودب للتلميع والاستهبال على المواطن الغلبان. كرنفال حقيقي.. اطلاق رصاص ـ أغان ـ نداءات حزبية ـ هتاف مستقل ـ زعيق قائمة ـ كبونات ـ دولارات ـ زيارات دواوين ـ ووعود بالجملة والقطاعي أحدهم وعد بتحرير القدس.. وآخر وعد بـ 100 دولار لكل مواطن شهريا.. مرشحون استغفلوا الاطفال للصق صورهم البديعة على الجدران مقابل ساندويتش كباب وعلبة كولا وبعد أداء العمل اكتشفوا ان المرشحين الصادقين الصدوقين قذفوهم بساندويتش فلافل فقط..!! مرشحون آخرون استأجروا الاطفال لنزع صور غيرهم من المرشحين بليل حبا في النزاهة وايمانا بالمنافسة الشريفة..!! وبأم عيني رأيت من يدسون الرشاوي تحت أعقاب البيوت شراء للاصوات..!! كلهم يعدون في مونديال الفوضى بانقاذنا من الفلتان والفساد..!! عجبا.. تذكرت ماوعد به أحدهم قبل عشر سنوات وقارنته بما فعل.. ضحكت.. قهقهت.. انقلبت على قفاي.. وأنا أردد مذهولا: على أونا.. على دوووى اندهش السائق.. أوقف السيارة.. ظنني مجنونا.. قذف بي الى الشارع وأنا لم أزل في نوبة ضحك هستيري لم ينقذني منها الا البكاء.

* كاتب من فلسطين

الخصخصة وبيع الأوطان في الدول العربية

محمد خليفة*

■ أك